تمثّلات الموت والفقد في الشعر المعاصر: قراءة في ديوان "ملاكٌ رجيم" لمحمد بوطغان

Representations of Death and Loss in Contemporary Poetry: A Reading of Muhammad Boutgan's Collection “Malaak Rajim”

مديحة بشير الشريف

جامعة محمد البشير الإبراهيمي–برج بوعريريج(الجزائر)

مخبر الثقافة الوطنية.madiha.bachircherif@univ–bba.dz

تاريخ الاستلام: 2026/03/03 تاريخ القبول: 2026/04/05 تاريخ النشر: 2026/06/06

ملخص:

يعدّ الموت والفقد من أبرز المواضيع التي شغلّت الشّعراء والأدباء على مرّ العصور، حيث يعبرون من خلالهما عن **الألم الوجودي** والتساؤلات العميقة حول الحياة والموت، فالموت ليس مجرد نهاية بيولوجية، بل تجربة روحية وفلسفية تستنزف الذات لما تتركه من تأثيرات عميقة على الوعي الفردي والجماعي، وفي مواجهة الموت، تتعثر اللّغة وتجد نفسها عاجزة أمام هول الفقد وعلى الرغم من أن الموت يُعدّ حقيقة ثابتة في التجربة الإنسانية، إلا أن الشعر والأدب عادةً ما يتجاوزان فكرة النهاية البيولوجية للموت إلى **التحليل العميق للمشاعر** المرتبطة به، كالقلق والخوف، والرفض، والحزن، بل وحتى التمرد على الموت نفسه، كما يصبح الفقد، سواء كان فقدًا ماديًا كفقد الأحبة، أو رمزيًا كفقد الأمل أو الهوية، جزءًا لا يتجزأ من النّص الأدبي.

كلمات مفتاحية: الموت، الفقد، الغياب، الشعر، الكتابة، الريح، محمد بوطغان.

Abstract: Death and loss are among the most prominent themes that have preoccupied poets and writers throughout the ages, through which they express existential pain and profound questions about life and death. Death is not merely a biological end, but a spiritual and philosophical experience that drains the self

because of its profound effects on individual and collective consciousness. In the face of death, language stumbles and finds itself powerless in the face of the horror of loss. Although death is a constant reality in the human experience, poetry and literature usually go beyond the idea of the biological end of death to a deep analysis of the feelings associated with it, such as anxiety, fear, rejection, sadness, and even rebellion against death itself. Loss, whether physical, such as the loss of loved ones, or symbolic, such as the loss of hope or identity, becomes an integral part of the literary text.

Keywords: Death; loss; absence; poetry; writing; wind; Muhammad Boutghan.

1. مقدمة:

لقد تناول الشّعراء هذا الموضوع بطرق متعددة؛ فمنهم من جسد الموت/الفقد بـالانكسار الروحي والاغتراب الوجودي، حيث لا يُعتبر الفقد مجرد حدثٍ عابر، بل حالة وجودية تتجاوز الزمن والمكان، وقد عبّر شعراء الأدب القدماء عليه كحدث حزين، مثل الخنساء التي رثت أخاها بمراثٍ مؤثرة خلدّت موت الأحبة، أما طرفة بن العبد وأبو ذؤيب الهذلي، وزهير بن أبي سلمي والمتنبي وغيرهم ممن أدركوا حتمية الموت وعدم القدرة على الإفلات منه فكانت قصائدهم شاهدًا على وعي الإنسان العربي بفناء الحياة، ومعبّرًا عن ضعف الإنسان أمام قدر لا مفرّ منه، وبقي شعرهم حيًّا رغم غيابهم، ومخلّدًا ذكرى الراحلين عبر العصور، ومن الشعراء المعاصرين "سركون بولص" و"محمود درويش" من جعل الموت/الفقد تجربة وجودية حيث يصبح الموت سببا للتشبّث بالحياة، وشكلا من أشكال الحماية والحفاظ على الهوية؛ فالموت ليس فناءً بل طريقة للبقاء بقاء في الأرض، في الذاكرة، وفي اللغة، أما عند الشاعر محمد بوطغان فالموت عنده من أكثر اللحظات مأسوية، التي تكون شاهدة على أن الفقد لا يُحتمل ولكنه يُكتب، ومن هنا يمكن أن نتساءل عن دور اللغة في التعبير عن الموت والفقد، وهل تصبح اللغة في هذه الحالة عاجزة أم مبدعة في إنتاج المعنى؟ بعبارة أخرى كيف يمكن للقصيدة أن تُعيد تشكيل معاني الموت والفقد بحيث تصبح الألفاظ والإشارات أكثر من مجرد أدوات للتعبير؟ وهل تستطيع اللغة المبدعة أن تتجاوز هذا العجز، أم أنها تبقى أسيرة للفراغ الذي تتركه هذه التجربة الوجودية؟.

يشكّل الموت في التجارب الشعرية الحديثة محورًا أساسيًا تتبني عليه الرؤية الفنية والفكرية للنصّ الشعري فقد اتجه الشعراء إلى معالجة هذه التيمة معالجة فلسفية عميقة، تتجاوز البعد الرثائي أو العاطفي التقليدي، لتغدو سؤالًا وجوديًا يمسّ جوهر الإنسان ومعنى

حضوره في هذا العالم، فالموت هو الهدف الحق للحياة على حد تعبير شوبنهاور:" إن الموت هو العبقرية الحقة الملهمة أو ملهم الفلسفة، وقد عرف سقراط الفلسفة بأنها معرفة الموت، والواقع أنه بدون الموت لا يمكن للبشر أن يتفلسفوا"[1] فالموت هو الدافع العميق للتفكير الفلسفي، لأنه يضع الإنسان أمام أسئلة كبرى مثل: ما معنى الحياة؟ ماذا يحدث بعد الموت؟ وما القيمة الحقيقية لوجودنا؟ والفيلسوف سقراط كان يرى أن الفلسفة هي تعلّم الموت، أيّ أن التفلسف يُدرّب الإنسان على التحرر من الخوف والتعلّق الزائد بالماديات، والاستعداد لمواجهة الحقيقة النهائية بهدوء وحكمة، فلولا وعي الإنسان بالموت لما شعر بالحاجة إلى البحث عن المعنى، ولا إلى طرح الأسئلة الوجودية، ولذلك يُعدّ الموت مصدرًا أساسيًا للإلهام.

ومن هذا المنطلق، تنفتح النصوص الإبداعية على طرح أسئلة كبرى تتصل بالوجود والعدم، والحرية والاختيار، والمعنى واللاجدوى، فوعي الإنسان بالموت لا يولّد الخوف فحسب، بل يوقظ فيه أيضًا الرغبة في الكتابة عن الموت والحزن، باعتبارهما تجربة إنسانية عميقة تكشف ضعف الإنسان وحاجته إلى التعبير عمّا يوجد في داخله من ألم وحنين.

2. الفقد كمُحفز للكتابة:

إنّ الانطلاق من فكرة أن اللّغة عاجزة عن التعبير الكامل عن الموت والفقد باعتبار أن اللّغة محدودة في تمثيل اللامحدود، وفكرة أنها تصبح أداة مبدعة تُنتج معاني جديدة تستعصي على الفهم العادي، تفضي إلى أنّ الكتابة نفسها تكون عملية تجديد لغوي حيث تولّد القصيدة صورا ودلالات جديدة تحمل معنى متعددا، فاللّغة الشعرية أداة فاعلة في احتواء ألم الموت وتخفيف وطأة الحزن، إذ يعيد المبدع من خلالها تشكيل تجربة الفقد ومنحها دلالات جديدة، تُمكّنه من التفاعل الواعي مع اللحظة الأكثر مأساوية في الحياة"ويظل الشعر أكثر الفنون ارتباطا بالموت، لأن الشعر يرينا جوهر الأشياء لا ظواهرها، ويذهب بأهم أدوات

التعبير / اللغة بعيدا عن وجهها الذي نطالعه مباشرة، بل يتعدى إلى ميتا – اللغة، لأنها تخضع لتجربة الشاعر التي تعد في جوهرها انفعالا جماليا"[2]؛ يعدّ الشعر وسيلة لفهم المعاني الخفية وراء الواقع، ويستخدم "الميتا–لغة" للتعبير عن تجارب جمالية وشخصية لا يمكن نقلها بالكلمات العادية، فالشاعر لا يكتفي بالوصف الحرفي أو المباشر للواقع بل يذهب أبعد من ذلك ليخلق مساحة من المعاني التي تفلت من سيطرة العقل المنطقي.

ولأنّ فكرة الموت أو حتمية نهايتنا، تبدأ في تقدير حقيقة وجودنا فالموت ليس مجرد نهاية للحياة بل نقطة انعطاف لفهم معنى الحياة وبالتالي، وجودنا لا ينفصل عن الموت، بل هو جزء من إمكانات الحياة، ونحن نعيش تحت وطأة هذا الاحتمال الدائم بوصفه عنصرًا مكوِّنًا للتجربة الإنسانية، فـ"التحقق من وجودنا يمكننا إدراكه بالموت، حيث الموت هو إمكان من إمكانات الوجود هو الإمكان الشخصي إلى أقصى درجة والذي ينهى كل علاقة إلى أقصى درجة، والذي لا يمكن تخطيه على الإطلاق إن محض وجوده هو الوجود باتجاه الموت"[3] فالوعي بالموت يعطينا إدراكًا حقيقيًا لماهية وجودنا وكيف أن حياتنا هي دائمًا في تفاعل مع هذا الاحتمال النهائي"فالإنسان يجيء إلى الحياة ومعه قدره المحتوم الموت، وهذا ما يجعل الإنسان متقلبا بين حالات متناقضة، فيصير من سعادة إلى شقاء، ومن اطمئنان إلى قلق وتوتر، ومن فرح إلى حزن كلما اعترته لحظات النظر في النهاية المحتومة، فالذي سيموت هو، ولن يحمل عنه موته أحد سواه، فكل إنسان محمول على ذاته، يمثل له"[4] هذه الفكرة تعكس الوعي الدائم بالموت كحقيقة نهائية، وهو ما يجعل الإنسان يعيش مشاعر التناقض الداخلي بين الحياة والموت، وبين القدرة على الاستمتاع باللحظات السعيدة والوعي الدائم بالمصير النهائي.

لقد أصبح الإنسان / المبدع لا يستطيع أن يتجاهل الحقيقة الجوهرية التي مفادها أنّ الموت هو العامل الذي يمنح الحياة معناها وقيمتها "فهو يدرك قيمة الحياة حين يفطن إلى أن زمانه محدود، وأن لحظاته قصار معدودات! وأما لو كانت الحياة أمامي لا متناهية ، لما كان ثمة ما يدعو إلى التعجل بعمل ما أريد، فإن ما لا أستطيع عمله اليوم، يمكنني أن أنهض بأدائه غدا، أو بعد غد، أو بعد ملايين السنين!! ولن يكون ثمة معنى للعمل أو النشاط، في كنف حياة أبدية (لا نهاية لها)"[5] ص31 فالإنسان لا يدرك قيمة حياته إلا عندما يدرك أن زمنه محدود، وأن كل لحظة تمضي هي فرصة غير قابلة للتكرار، فنلفي الكُتاب يُحاولون عبر أعمالهم أن يتحدوا فكرة الموت والفناء، فعندما يكتبون هم لا يعبرون فقط عن لحظاتهم الراهنة، بل أيضًا عن تطلعاتهم وآمالهم في أن يستمر عملهم ويُخلد في الزمن بعد أن تنقضي حياتهم إنه"يشعر بأنّ في نشاطه الإبداعي ما يحمل في ذاته مبررات وجوده"[6] ؛ فالكتابة، بذلك المعنى، تُصبح وسيلة للخلود، ومحاولة للتمرد على فكرة الموت والفناء.

3. الريح مرآة الألم والرحيل:

تحمل الريح في الشعر معاني عميقة، وقد غدت رمزًا يكتسب أبعادًا دلالية متعدّدة، فهي ليست مجرد ظاهرة طبيعية، بل كائن معنوي يتحرّك بين معاني التغيير والاضطراب والرسالة الخفية؛ فحين تهبّ الريح بقوة توحي بالعواصف الداخلية التي تعصف بالإنسان، وحين تمرّ هامسة تشبه أنين الحزن في النفس، وقد ارتبطت الريح كثيرًا بمشاعر الأسى والفقد، لأنها تحمل أصوات الغياب وتحرّك ذكريات الراحلين ففي سياق الحزن وألم الموت تصبح الريح صورةً للفراغ الذي يخلّفه الفراق، وصوتًا يعبّر عن لوعة القلب وعجزه أمام قدر الرحيل، فهي تلامس الوجدان كما يلامس الحزن الروح، وتذكّر بأن الحياة، مثل الريح، عابرة لا تستقر على حال.

ونلفي الشاعر محمد بوطغان* في ديوانه "ملاك رجيم" يؤثث نصوصه الشعرية باستخدام الريح لا سيما في سياق الفقدان والموت وقد مثل هذا الحضور في شعره الفراغ العاطفي الذي تركه غياب الأحباب وجسد مشاعر الندم والحزن في لحظات الفراق يقول في قصيدته المعنونة بـ جغرافيا مالك السعيد

أيتها الريح..

الريح تعوي من جهاتي كلها..

وأنا لا ريش لي..

لا جناح سوف يستر هامتي..

لا ثعلب سيراوغ المكر المؤدي

لي.. أنا..

أيتها الريح...

لن أراقب الرايات؛ لكن

سأقرأ شاهد قبر..[7]

يفتتح الشاعر أبياته بمخاطبة الريح جاعلا منها رمزا لما فقده، وقد سبب له هذا الفقد جرحًا عميقًا في قلبه، كما أنّ الرياح العاتية تمثل هبوب العواصف في حياة الشاعر بعد الفقد فالريح تعوي من كل الجهات كأنها تُسهم في تعزيز حالة الحزن، إذ لا يستطيع الشاعر الهروب منها أو المراوغة والعواصف تزداد ولا يوجد مفر، وهذا يزيد من شعور الشاعر بالعجز والوحدة بعد الفقد، أما الريش والجناح هنا يرمزان إلى القدرة على التحليق والنجاة بعد الفقد، فالشاعر لا يجد ما يعينه على النهوض أو الاستمرار لا جناح له يحميه من السقوط، وكأن الفقد قد انتزع منه كل وسائل النجاة، إنّ البيت يعكس عمق الألم الذي يشعر به

الشاعر، حيث يعجز عن مواجهة الحياة بمفرده بعد فقده ما كان يعزز قوته أو عزيمته، كما أنّ استحضار الثعلب هنا يمكن أن يُفهم كرمز للمكر والخداع، وقد يكون الشاعر هنا يذكر أن المكر أو المراوغة لم تعد مجدية له بعد الفقد، فالألم عميق جدًا بحيث لا يمكن النجاة منه بالمراوغة أو الخداع، فلا حيلة له قد تنقذه من الحقيقة القاسية المتمثلة في فقدان شيء أو شخص عزيز، وقد اختصر الضمير "أنا" كل معاناته في مواجهة نفسه، وفي مواجهة الحزن الذي لا يمكن الهروب منه، وقد تكون هذه الكلمة تأكيدًا على حقيقة الفقد الذي يعيشه.

وفي نهاية هذه الأسطر نلفيه يصل إلى حقيقة أليمة فالرايات التي كانت تمثل الآمال والطموحات في الماضي يعلن الشاعر أنه لن ينشغل بما كان يسعى إليه أو بما كان يراه أملًا أو هدفًا في حياته، وبأنها أصبحت مجرد مظاهر لا تشبع غليل الحزن في قلبه، كما دلت على ذلك "لكن سأقرأ شاهد قبر..." وقد عكست هذه العبارة بوضوح حالة الحزن الشديد الذي يعيشه الشاعر بعد الفقد، فوجهته الوحيدة بعد الآن هي "شاهد القبر"، أي النهاية الحتمية، ومواجهة الحقيقة الحزينة التي لا يستطيع تجاهلها، وسيبقى الشاهد إشارة إلى ذكرى ووداع دائم، يشير إلى أن الشاعر يشعر وكأنما الحياة قد توقفت بعد فقده شخصا عزيزا عليه.

إنّ هذه الأبيات تدور حول مرحلة صعبة من الحزن والفقد، حيث يواجه الشاعر الحقيقة الأليمة بواقعية، ويحاول التكيف مع الألم الناتج عن هذا الفقد.

وفي موضع آخر نلفي الشاعر يقف في مواجهة القوى العاتية للريح بوصفها رمزًا للتحولات القاسية والخيبات المتراكمة في لحظة لمساءلة الذات أمام تاريخ من الفقد، ومحاولة لإعادة تعريف معنى السقوط والغياب يقول الشاعر:

أيتها الريح...

هزي بجذع الخيبات كلها؛

لكن لن أساقط جنائزيا ملفوفا

في ورق النعي الأنيق!

أيتها الريح..

هذا أوان غيابي..[8]

تتأسّس القصيدة على مفارقة دقيقة بين الموت بوصفه قدَرًا مفروضًا والغياب بوصفه فعلًا إراديًا، فالريح، باعتبارها قوة عاتية، تبدو كأنها طقسُ تطهيرٍ يستدعي اهتزاز الجذور، لكن ما يُهزّ هنا ليس جذع نخلةٍ مثمرة، بل **جذع الخيبات**؛ أيّ تاريخٌ طويل من الفقد المتراكم فالخيبات تتحول إلى شجرة ذات جذور، ما يعني أن الفقد ليس حادثًا عابرًا بل حالة وجودية متجذّرة، غير أن الشاعر يرفض أن يتحوّل هذا الاهتزاز إلى سقوط "**جنائزي**"؛ فالسقوط هنا ليس موتًا بيولوجيًا بل **موت رمزي**: موت الكرامة، موت المعنى، أو موت الحضور الإنساني حين يُختزل في "**ورق نعي أنيق**" وهذه العبارة تحمل سخرية مُرّة من الطابع الاجتماعي للموت، حيث يُغلَّف الفقد بطبقة من البلاغة، فيتحول الألم إلى نص مُنسَّق، والإنسان إلى خبر لذلك يأتي قوله "هذا أوان غيابي" لا بوصفه استسلامًا، بل بوصفه مقاومة أخيرة؛ فالغياب المختار يصبح فعل تحكم في المصير، ورفضًا لأن يُصاغ الموت بيد الآخرين.

ومن هذا المنظور، القصيدة لا ترثي ذاتًا منهزمة، بل تعيد تعريف الفقد: فهو ليس ما يُنهي الجسد، بل ما يُجرّد الإنسان من حقه في اختيار طريقة اختفائه، إنها كتابة تقف عند الحافة بين الفناء والكرامة، وتُصرّ على أن الغياب يمكن أن يكون موقفًا، لا جنازة.

وفي قصيدة بعنوان "قبل كل شيء..." يفتتح الشّاعر نصه على البحث عن السبب، ذلك السبب الذي يجعل "الربح" في يد "المساء المستبد" ذا قيمة، وهي مسألة مفتوحة على

التساؤل الوجودي: ما الذي يجعل للحياة معنى إذا كانت مسلوبة من الحضور واللحظة؟ يقول:

لا بد من سبب رشيق واضح..
حتى تكون الربح في أيدي المساء المستبد
وجيهة
تنسى جدائلها على شفة الحضور..
ويكون للوهم المناوئ للحلول حلوله..
لا بد من موت يهيئ للموات خلوده..
ويتيح للمعنى تذاكر للعبور..[9]

ويتضح هنا أن الشاعر يبحث عن تبرير أو تفسير يضفي الشرعية على لحظات الضعف والهزيمة، حيث يبدو المساء المستبد كرمز للظروف القاسية، والربح الذي يتوهمه الإنسان في نهاية النهار، كما يمنح النص تصويرا جماليًا يخلّف إحساسًا بتضاؤل الحضور الفردي في معترك الحياة الاجتماعية أو الثقافية في قوله:"تنسى جدائلها على شفة الحضور..." فالعوامل التي تحدد الحضور تبدأ بالتلاشي، تمامًا مثل الجدائل التي تنسدل على شفاه الحضور، وهي صورة تنطوي على التلاشي والهروب من الحضور الكامل، ثم يظهر مفهوم الوهم المناوئ للحلول فالإنسان يسعى دومًا إلى إيجاد حلول للمعضلات الحياتية، إلا أن الوهم يخلق لنفسه حلوله الخاصة، مما يشير إلى تداخل الحقيقة مع الخيال، بين الحقيقية المؤلمة والتصورات الكاذبة التي يتشبث بها الفرد كي يتجاوز الواقع.

ونلفي الأسطر الأخيرة تتكئ على مفهوم أعمق للموت، الذي لا يُعدّ فقط نقطة النهاية، بل مقدمة لخلود جديد وقد على ذلك قوله"لا بد من موت يهيئ للموات خلوده..." يشير إلى أن الموت، في هذا السياق، ليس النهاية القاتمة التي ينتهي بها كل شيء، بل عملية تحويل

وتحوّل، حيث يُمكن للموت أن يُمهّد لوجود آخر أو لخلق معنى جديد؛ والموت هنا لا يُفهم على أنه نهاية محضة، بل هو شرط لتحقيق الخلود، شرط لفتح المعنى وتمكينه من التعبير عبر حدود الزمان والمكان.

في هذا المعنى، يعيد الشاعر تعريف الموت ليس كفقد، بل كفرصة للعبور من حالة إلى أخرى، كعبور نحو الوجود، حيث يمكن للمعنى أن يتحقق ويصبح أكثر وضوحًا بعد التضحية أو بعد تحول معين. إنّ القصيدة تقترح رحلة فلسفية بين الوجود والموت، بين الحضور والغياب، بين الحقيقة والوهم، مُظهرةً أن المعنى لا يتأتى إلا من خلال المرور بالتجارب الصعبة التي تبدو وكأنها نهاية، بينما هي في الواقع بوابات جديدة للانبعاث والتجدد.

4. تمثّلات الموت والغياب في الديوان:

1.4 الصمت بوصفه أثرا للفقد:

تكشف الكتابة الشعرية عند محمد بوطغان عن وعي حادّ بعجز اللغة عن احتواء التجربة الفاجعة؛ إذ تتجاوز لحظة الموت قدرة القالب الشعري على التمثيل، فتتجلّى القصيدة في حالة توتّر دلالي وبنائي، تتسم بالتشظي والانقطاع، وتكثيف الفراغ والصمت بوصفهما مكوّنين دلاليين فاعلين"فما تقدمه صيغة الحذف آخر سلسلة البيت يدفع بالقراءة إلى اعتبار الحذف عنصرا بانياً للنص"[10] هذا الفراغ يولّد توتراً يفتح أفق التوقع، فيتحول القارئ من متلقٍ سلبي إلى مشاركٍ في إنتاج المعنى، فالنص لا يقدّم المعنى جاهزاً، بل يلمّح إليه، ويعتمد على كفاءة المتلقي في استكماله وفي هذا الشّأن يقول: السامرائي " ألنا أن نقول: أنّ وضع النقطتين (..) بعد هذه العبارات مؤذن بتقدير ما يكمل هذا البناء أو يصلحه ويروم من فساده وهذا نمط واضح في كثير من الشعر الجديد"[11] حيث لم يعد النّص بنية مكتملة مغلقة، بل صار مفتوحا على الاحتمال والتأويل.

يفتتح الشاعر محمد بوطغان نصه المعنون ب"معايدة" بالنداء "أيتها الريح"،"يا عام"، إلا أنّ البنية العميقة له محكومة بالصمت، فالخطاب يبدو متصاعدا، ويحمل في داخله فراغاً كثيفا يمنحه التوتر والصدق الفني يقول:

أيتها الريح...
يا عام ارحل من هنا
ارحل.. فأنت لم تمنع وجودي
ما رغبت من الهناء..
يا عام عجل بالحلول
فهاهنا عام تعمد
بالفجائع والمواجع
والبكاء...[12]

يُخاطب الشاعر الزمن (العام) وكأنّه كائن حي، يطلب منه الرحيل إذ يرتبط هذا الفعل بإحساس من يُعاني من عبء السنين التي لم تُقدّم له سوى الألم، ويدعو الشاعر العام للمغادرة باعتباره موتًا آخر، موتًا يتمثل في الفشل في استيفاء الأحلام أو الانتصار على الأوجاع، فإذا كان الزمن هو الذي يُحدّد وجودنا، فقد يصبح هو أيضًا الذي يحدّد موتنا، ويطلب الشاعر الرحيل عن هذا العام الذي حمل له فقط "الفجائع والمواجع والبكاء" والكثير من الألم غير المعلن عنه، فهو يقتصد في التفاصيل ليصنع صمتا دلاليا يترك من خلاله للمتلقي فرصة المشاركة في استنباط الدلالة.

كما يحمل النّص الشعري في طياته النفي لا باعتباره أداة لغوية، بل محور بنائي ودلالي يبدأ بالمقاومة ويتحول إلى فقدٍ ثم ينتهي باحثا عن ولادة جديدة ويتجلى ذلك في قوله:" ارحل.. فأنت لم تمنع وجودي"، ويوحي هذا النفي بإظهار الألم والعتاب (لم تمنع وجودي) فالنفي بالأداة "لم" يقوم "بسلب الحدث زمن وقوعه والغوص به في الماضي مع تحرير الفعل من دلالته والتحول به إلى الدلالة المضادة؛ حيث تعمل لم كوسيلة تعبيرية لها

صلاحية لشد زمن المضارع إلى زمن الماضي، وذلك بمحاصرته تعبيريا وجذبه من زمن التحقق والإنجاز إلى زمن الانقطاع واللاوقوع"[13].

كما دلّ على نفي الرغبة في السعادة في عبارة (ما رغبت من الهناء)، وكذا الإحساس بالوحدة أو الفقد (وما معي ولدي) فعبّر عن المعاناة والحرمان، وإبراز مشاعر الحزن والخذلان، فالنفي لم يُستخدم لمجرد الإخبار، بل جاء ليؤكد حالة نفسية يغلب عليها الأسى والاحتجاج إذ "يقوم أسلوب النفي بتجلية مقاصد المبدع من خلال التخفي القصدي وراء عدمية الفعل المنفي وسلبيته؛ ولذلك يعد من أفضل الوسائل التعبيرية قدرة على كشف المتناقضات وتصوير زيف الواقع وتعريته عن طريق الاتكاء على ما للنفي من إيحاءات السلب والإقصاء والرفض"[14].

ويواصل الشاعر في قصيدته تشخيص "العام" ككائن مسؤول عن الألم في محاولة نفسية للتخلص من زمنٍ اقترن بالموت، فالموت لم يكن حدثًا عابرًا، بل طقسًا وجوديًا غيّر معنى الزمن كله يقول:

يا عام خذني ها هناك
إلى الأعالي
حيث وزن النص يرفض
أن يكون من البحور..
خذني إلى غيم يقود ضراعتي رأسا
إلى باب السماء..[15]

وتتجلى في هذا المقطع الرغبة للالتحاق بالراحل والهروب من أرض الفقد إلى سماء الأرواح كما تعكس تمرد الشاعر عن النظام العروضي تقليدًا ثابتًا كما وضعه الخليل بن أحمد الفراهيدي، فإن رفضه هنا يرمز إلى كسر النظام بعد أن كُسر نظام الحياة بالموت، لينزع في نهاية المقطع إلى الصوفية ليحدث اللقاء بين المفقود أو تخيّل ذلك اللقاء، لبلغ النص ذروته في مقطعه الأخير يقول:

يا عام إني أدخل العام الجديد
وما معي ولدي !!
يا عام... هل عام سيكفي
لأصوغ من نفسي دعاءً..
....
أيتها الربح..
بأي تقويم سأنبض ؟؟
وبأي نبض سأقيم تقويما لأوهامي البليدة ؟؟[16]

في هذه المقطع يتحول الحزن من مجرد شعور عابر إلى حالة وجودية عميقة، حيث يُعبّر الشاعر عن الموت ليس فقط كحدث خارجي، بل كتجربة نفسية تتخلل الوجود بأسره فالانتقال من الرمزية إلى الصراحة في البيت الذي يقول فيه"يا عام إني أدخل العام الجديد وما معي ولدي!!"هنا، يتحول الفقد من شعور غامض إلى إقرار علني ومؤلم لفقدان جزء من الذات، مما يجعل الحزن أكثر وضوحًا وصراحة لتأتي التساؤلات حول الزمن في البيت "يا عام... هل عام سيكفي لأصوغ من نفسي دعاءً..." فتكشف عن عمق الألم الذي لا يمكن تداويه بسرعة، بل يتطلب وقتًا أطول من الزمن ذاته فالدعاء هنا يظهر كمحاولة لترميم الذات المكسورة، لكنه في الوقت نفسه يشير إلى أن الشفاء ليس في متناول اليد، وأن الألم لا يزال يسيطر على الكيان الداخلي للشاعر.

كما أنّ العودة المتكررة لعبارة "الريح" تُظهر أن الشاعر لم يستطع الهروب من دائرة الحزن التي تدور حوله وقد أوحى التكرار في هذه الصورة بأنّ الألم مستمر، لا بداية له ولا نهاية واضحة، وكأن الشاعر يقبع في حلقة مفرغة من الفقد والوجع.

أما في قوله "بأي تقويم سأنبض؟" فيظهر السؤال الوجودي العميق حول العلاقة بين الزمن والحياة بعد الفقد؛ فالتقويم كأداة لقياس الزمن لا يمكنه قياس الحياة الداخلية، والنبض الذي يمثل الحياة يصبح مشوهًا ومربكًا بعد الخسارة فالشاعر هنا يتساءل عن كيفية العيش عندما يتوقف جزء من حياته/ فقدان الابن ويختل توازن العلاقة بين الزمن والوجود.

وفي آخر بيت يقول:"وبأي نبض سأقيم تقويما لأوهامي البليدة؟" هناك اعتراف قاسٍ بأن الآمال والأحلام السابقة كانت أوهامًا، وأن الموت قد أسقط تلك الأوهام وكشف هشاشة التصورات، إن الحزن الذي يعيشه الشاعر لا يقتصر فقط على فقدان شخص، بل يشمل أيضًا في فقدان المعنى الذي كان يمنح الحياة حيويتها وأملها، مما يجعل الألم ليس مجرد فقدٍ عاطفي، بل فقدانًا للمعنى الوجودي.

2.4 السواد والبياض: التوزيع البصري والمعنى النفسي:

لم يعد السواد والبياض مجرد لونين في النص، بل أصبحا تقنيتين شعريتين يعبران عن المساحة العاطفية والتوترات النفسية ففي شعر الحداثة، يمكن للسواد أن يرمز إلى الظلام الداخلي، الحزن، الفقدان، الضياع، بينما يُعتبر البياض مساحة للتنفس، الفراغ، أو النقاء، لكنه قد يكون أيضًا إشارة إلى اللاوجود أو التيه "اعتمد شعراء الحداثة على استخدام تقنية السواد والبياض بطريقة تندرج في أشكال توزيعية متباينة، تعكس في مدها وجزرها امتدادها وتقلصها، انتشارها وتراجعها، الحالة النفسية لمبدع النص الشعري وطبيعة تجربته الشعرية ذات الرؤيا الخاصة للعالم والحياة"[17] فتوزيع السواد والبياض في النّص الشعري يعكس الحالة النفسية للشاعر، ويُترجم من خلال المساحات الفارغة أو المتراكمة بشكل جغرافي داخل النص، بحيث قد تتوزع الكلمات والأبيات بين البياض الواسع والسواد الكثيف فعندما يكتب الشاعر جزءًا من النص في سواد مكثف، قد يعني ذلك الركود النفسي، الضغط أو حتى التمزق الداخلي، بينما إذا كان النص مليئًا بالبياض، فقد يعكس الفراغ أو الانتظار أو الحيرة يقول:

أيتها الريح..
تكفيني الحشرجات
وعمى مدجج بالغباء..
تكفيني خطوة كسيحة لا تصل..
يكفيني الذي هو غير مستعد للرحيل..

أيتها الريح...
لست في حاجة لاندثاري..
فلم كل هذا العصف المعول ؟
[18].....

تعكس القصيدة حالة من الألم والحزن العميق، حيث يظهر الشاعر في صراع داخلي مع الوجود و المعنى، ويتجلى هذا الصراع في تكرار الصور السلبية والغامضة التي تشير إلى العجز والقلق من خلال استخدام مفردات مثل "الحشرجات" و"العمى المدجج بالغباء"، ينقل الشاعر شعورًا بالاختناق النفسي والتساؤل عن المصير، وتشير إلى التجاهل أو اللامبالاة تجاه ما يدور حول الشاعر، أو ربما الانغلاق العقلي الذي يمنعه من رؤية الحقيقة أو إيجاد الحلول. فعبارة "مدجج بالغباء تصف الجمود العقلي، كأن الشاعر يرى نفسه محاصرًا في دائرة لا يمكنه الهروب منها، كما أن العبارات مثل "خطوة كسيحة لا تصل" و "غير مستعد للرحيل" تشير إلى الجمود والتمسك بالحياة رغم تراجع الفاعلية والقدرة على التغيير، إنّ هذا التوتر بين التمرد على الفناء والتعثر في الحياة يعكس بوضوح شعور الشاعر بالعجز أمام الموت أو الاندثار، ورفضه لحتمية النهاية، فالموت يظهر كمفهوم غير مرغوب فيه، ويتسلل عبر التساؤلات حول الوجود والزوال، مما يعكس الخوف من الفناء والعدم.

كما يعبر السواد في القصيدة عن الظلام الداخلي، والآلام النفسية، والضغوط التي يشعر بها الشاعر في مواجهة عالم لا يحمل له إجابات، أما البياض فهو يمثل الفراغ أو الانتظار، وكأن الشاعر عالق في مساحة غير مكتملة بين الحياة والموت، بين الرغبة في الاستمرار والشعور بالهزيمة، بعبارة أخرى، البياض في النص يعكس حالة من التيه، واللاوضوح، كما لو أن الشاعر في حالة انتظار دائم لشيء لا يأتي، وقد ساهم استخدام البياض والسواد في النّص كأدوات بصرية ودلالية في إيصال المعنى بشكل أقوى وعبر عن حالة الشاعر العاطفية.

يتحول الحزن من رمزي إلى صريح في هذه الأبيات فنلفي الشّاعر يصرح بفقد ولده وهي صدمة لم يستطع تجاوزها وقد كشفت علامتا التعجب على صدمة لم تُستوعب بعد ليتساءل

وبهذا المعنى، لا تسعى القصيدة إلى تفسير الموت أو ترويضه، بقدر ما تُسجّل أثره الكاسر في الذات، وتُقارب الفقد من موقع الانكسار لا التعالي.

5. خاتمة:

يحتلّ الموت في التجربة الشعرية عند محمد بوطغان موقعًا مركزيًا، بوصفه لحظة وجودية قصوى تتكثّف فيها المأساة الإنسانية، وتتعرّى فيها حدود القول الشعري، فالموت لا يُقدَّم باعتباره حدثًا عابرًا أو تيمة تقليدية، بل بوصفه صدمة وجودية تضع الذات الشاعرة أمام اختبار الفقد المطلق، حيث يغدو هذا الفقد غير قابل للاحتمال نفسيًا، ولا للاستيعاب جماليًا.

تكشف الكتابة الشعرية عند بوطغان عن وعي حادّ بعجز اللغة عن احتواء التجربة الفاجعة؛ إذ تتجاوز لحظة الموت قدرة القالب الشعري على التمثيل، فتتجلّى القصيدة في حالة توتّر دلالي وبنائي، تتسم بالتشظي والانقطاع، وتكثيف الفراغ والصمت بوصفهما مكوّنين دلاليين فاعلين، وبهذا المعنى، لا تسعى القصيدة إلى تفسير الموت أو ترويضه، بقدر ما تُسجّل أثره الكاسر في الذات، وتُقارب الفقد من موقع الانكسار لا التعالي.

إنّ الموت يُحفز على الكتابة والإبداع لأنه يشكل الشرط الضروري للإحساس بقيمة الزمن، والكتابة والإبداع ليست مجرد نشاطات جمالية أو فكرية، بل هي تعبيرات محدودة تسعى إلى تخليد اللحظات والمعاني قبل أن تنقضي، كما تتحدى فكرة الفناء من خلال السعي لتوثيق ما هو أبدي في عالم زائل.

إن حضور الريح في الشعر المعاصر تتجاوز كونها مجرد عنصر طبيعي لتصبح رمزًا متعدد الأبعاد، تعكس التغيير والحرية والألم والفقد... وتساهم هذه الرمزية في إضفاء طابع معاصر على النصوص الشعرية، حيث تصبح الريح جزءًا من التعبير الوجداني الذي يعكس صراعات الإنسان مع ذاته ومع العالم من حوله.

يعكس استخدام السواد والبياض في شعر المعاصر عبر تقنية التوزيع البصري مساحات متباينة تخلق توترًا دلاليًا في النص، ونلفي الشاعر محمد بوطغان يوظف هذه الخصيصة في نصوصه الشعرية بصفة تجعل منها ظاهرة تستدعي الوقوف عليها لما تعزز من استدعاء المتلقي للمشاركة في إنتاج دلالة النص.

6. الهوامش:

[1] جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف حسين، الكويت، عالم المعرفة، دط، 1984، ص173.

[2] عبد الناصر هلال، تراجديا الموت في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، مركز الحضارة العربية، ط1، 2005،ص 17.

[3] عبد الناصر هلال: تراجديا الموت في الشعر العربي المعاصر، ص 14.

[4] عبد الناصر هلال: تراجديا الموت في الشعر العربي المعاصر، ص13.

[5] زكريا إبراهيم: مشكلة الحياة، مصر، مكتبة مصر للطباعة، دط، دت، ص 31.

[6] زكريا إبراهيم: مشكلة الحياة، ص34

* محمد بوطغان من مواليد 1960 ببرج بوعريريج شاعر ومترجم، عضو سابق بالمجلس الوطني لإتحاد الكتاب الجزائريين، محكم في العديد من المسابقات، مشارك في ملتقيات ومهرجانات ولقاءات أدبية وطنية ودولية منها مهرجان الشعر العالمي بمدينة " سات " Séte الفرنسية/ 2013. ومهرجان الشعر العالمي ليوم الشعر العالمي التي تشرف عليه اليونسكو 2021. من أعماله:- تهمة الماء /شعر/2004/منشورات اتحاد الكتاب الجزائريين.

- شموس يحي الوهراني/2004/ترجمة /شعر جان سيناك/منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية.

- أقنعة الروح/2005/ترجمة/رواية للسويدي:(پار لاجيركڤيست)/منشورات المكتبة الوطنية ورابطة الإختلاف.
- كما رواية /2012/ترجمة/رواية للفرنسي: دانيال پيناك/منشورات دار الهدى.
- رحلة مع صليحة ولد قابلية (شهيدة الثورة) 2014/الوكالة الوطنية للنشر والإشهار/ترجمة رواية للجزائري :علي عمراني.
- ملاك رجيم /شعر /2016/منشورات : دار الجزائر تقرأ.
- عطر الخطيئة /2017/ترجمة/رواية للجزائري :أمين الزاوي.
- حدوس اللقلق..فراسة المريد/2024/ديوان شعر.

[7] محمد بوطغان: ملاك رجيم، الجزائر، دار الجزائر تقرأ للنشر، دط، 2017، ص149

[8] محمد بوطغان: ملاك رجيم، ص125.

[9] محمد بوطغان: ملاك رجيم، 121.

[10] يوسف ناوري: جماليات اشتغال النص الشعري المعاصر، مجلة علامات في النقد الأدبي، السعودية، المجلد 15، العدد59، مارس 2006م، ص33.

[11] إبراهيم السامرائي: في لغة الشعر، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، دط، دت، ص103.

[12] محمد بوطغان: ملاك رجيم، ص179.

[13]عالية قري: دلائلية النفي وفاعلية السلب الزمني في ديوان قرابين لميلاد الفجر لعز الدين ميهوبي، مجلة النص، الجزائر/ جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، المجلد 10، العدد2 (2024) ص 324.

[14] عالية قري: دلائلية النفي وفاعلية السلب الزمني في ديوان قرابين لميلاد الفجر لعز الدين ميهوبي، ص 2

[15]محمد بوطغان: ملاك رجيم، ص179.

[16] محمد بوطغان: ملاك رجيم، ص 180.

[17] فريال تواتي: التشكيل البصري في الشعر العربي المعاصر ديوان "استيقظ كي تحلم" لمريد البرغوثي أنموذجا، مجلة النص، الجزائر/ جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، المجلد 10، العدد2، 2024،) ص 481.

[18] محمد بوطغان: ملاك رجيم، ص154.

7. قائمة المراجع:

1. إبراهيم السامرائي: في لغة الشعر، عمان، دار الفكر للنشر والتوزيع، دط، دت،
2. جاك شورون: الموت في الفكر الغربي، ترجمة كامل يوسف حسين، الكويت، عالم المعرفة، دط، 1984.
3. زكريا إبراهيم: مشكلة الحياة، مصر، مكتبة مصر للطباعة، دط، دت.
4. عالية قري: دلائلية النفي وفاعلية السلب الزمني في ديوان قرابين لميلاد الفجر لعز الدين ميهوبي، مجلة النص، الجزائر/ جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، المجلد 10، العدد2 (2024) (ص317-331)
5. عبد الناصر هلال، تراجديا الموت في الشعر العربي المعاصر، القاهرة، مركز الحضارة العربية، ط1، 2005.
6. فريال تواتي: التشكيل البصري في الشعر العربي المعاصر ديوان "استيقظ كي تحلم" لمريد البرغوثي أنموذجا، مجلة النص، الجزائر/ جامعة جيلالي اليابس سيدي بلعباس، المجلد 10، العدد2، 2024، (ص476-496)
7. محمد بوطغان: ملاك رجيم، الجزائر، دار الجزائر تقرأ للنشر، دط، 2017.
8. يوسف ناوري: جماليات اشتغال النص الشعري المعاصر، مجلة علامات في النقد الأدبي، السعودية، المجلد 15، العدد59، مارس 2006م، الصفحات (94-47)